يريد ظلما للعباد وتبين ان هذا العقاب لم يكن ظلما لاستحقاقهم ذلك وان الله
لا يريد الظلم والامر الذى لا يمكن القدرة عليه لا يصلح ان يمدح الممدوح بعدم
ارادته وانما يكون المدح بترك الافعال اذا كان الممدوح قادرا عليها فعلم ان الله قادر
على ما نزه نفسه عنه من الظلم وانه لا يفعله وبذلك يصح قوله انى حرمت الظلم على نفسى
فان التحريم هو المنع وهذا لا يجوز ان يكون فيما هو ممتنع لذاته فلا يصلح ان يقال
حرمت على نفسى او منعت نفسى من خلق مثلى او جعل المخلوقات خالقة ونحو ذلك
من المحالات واكثر ما يقال فى ذلك ما يكون معناه انى اخبرت عن نفسى بان ما لا يكون
مقدورا لا يكون منى وهذا المعنى مما يتيقن المؤمن انه ليس مراد الرب وانه
يجب تنزيه الله ورسوله عن ارادة مثل هذا المعنى الذى لا يليق الخطاب بمثله
اذ هو مع كونه شبه التكرير وايضاح الواضح ليس فيه مدح ولا ثناء ولا ما يستفيده
المستمع فعلم ان الذى حرمه على نفسه هو امر مقدور عليه لكنه لا يفعله لانه حرمه
على نفسه وهو سبحانه منزه عن فعله مقدس عنه يبين ذلك ان ما قاله
الناس فى حد الظلم يتناول هذا دون ذلك كقول بعضهم الظلم وضع الشيء
فى غير موضعه كقولهم من اشبه اباه فما ظلم اى فما وضع الشبه فى غير موضعه
ومعلوم ان الله سبحانه حكم عدل لا يضع الاشياء الا مواضعها ووضعها
فى غير مواضعها ليس ممتنعا لذاته بل هو ممكن لكنه لا يفعله لانه لا يريده
بل يكرهه ويبغضه اذ قد حرمه على نفسه وكذلك من قال الظلم اضرار
غير مستحق فان الله لا يعاقب احدا بغير حق وكذلك من قال هو نقص حق وذكر
ان اصله النقص كقوله كلتا الجنتين آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا واما من قال
الظلم التصرف فى ملك الغير فهذا ليس بمطرد ولا منعكس فقد يتصرف الانسان
فى ملك غيره بحق فلا يكون ظالما وقد يتصرف فى ملكه بغير حق فيكون ظالما
وظلم العبد نفسه كثير فى القران وكذلك من قال فعل المامور خلاف ما امر
ونحو ذلك ان سلم صحة مثل هذا الكلام فالله سبحانه قد كتب على نفسه الرحمة
وحرم على نفسه الظلم فهو لا يفعل خلاف ما كتب ولا يفعل ما حرم وليس
هذا الجواب موضع بسط هذه الامور التى نبهنا عليها فيه وانما ننبه الى
النكت وبهذا يتبين القول المتوسط وهو ان الظلم الذى حرمه الله على نفسه
مثل ان يترك حسنات المحسن فلا يجزيه بها او يعاقب البرى على ما لم يفعل
من السيئات ويعاقب هذا بذنب غيره او يحكم بين الناس بغير القسط
ونحو ذلك من الافعال التى ينزه الرب عنها لقسطه وعدله وهو قادر
عليها

عليها وانما استحق الحمد والثناء لانه ترك هذا الظلم وهو قادر عليه وكما ان الله منزه
عن صفات النقص والعيب فهو ايضا منزه عن افعال النقص والعيب وعلى قول الفريق
الثانى ما ثم فعل يجب تنزيه الله عنه اصلا والكتاب والسنة واجماع سلف الامة
وائمتها تدل على خلاف ذلك ولكن متكلمو الاثبات لما ناظروا متكلمة النفى الزموهم
لوازم لم ينفصلوا عنها الا بمقابلة الباطل بالباطل وهذا مما عابه الائمة وذموه كما
عاب الاوزاعى والزبيدى والثورى واحمد بن حنبل وغيرهم مقابلة القدرية بالغلو
فى الاثبات وامروا بالاعتصام بالكتاب والسنة وكما عابوا ايضا على من
قابل الجهمية نفاة الصفات بالغلو فى الاثبات حتى دخل فى التمثيل الخالق بالمخلوق
وقد بسطنا الكلام فى هذا وهذا وذكرنا كلام السلف والائمة فى هذا فى غير هذا
الموضع ولو قال قائل هذا ينبنى على مسئلة تحسين العقل وتقبيحه فمن قال
العقل يعلم به حسن الافعال وقبحها فانه ينزه الرب عن بعض الافعال ومن قال
لا يعلم ذلك الا بالسمع فانه يجوز جميع الافعال عليه لعدم النهى فى حقه قيل له
ليس بناء هذه على تلك بلازم وبتقدير لزومها ففى تلك تفصيل وتحقيق
قد بسطناه فى موضعه وذلك انا اذا فرضنا انا نعلم بالعقل حسن بعض الافعال
وقبحها لكن العقل لا يقول ان الخالق كالمخلوق حتى يكون ما جعل حسنا
لهذا او قبيحا له جعل حسنا للآخر او قبيحا له كما يفعل مثل ذلك القدرية لما بين
الرب والعباد من الفروق الكثيرة وان فرضنا ان حسن الافعال وقبحها
لا يعلم الا بالشرع فالشرع قد دل على ان الله قد نزه نفسه عن افعال واحكام
فلا يجوز ان يفعلها تارة بخبره مثنيا على نفسه بانه لا يفعلها وتارة بخبره
انه حرمها على نفسه وهذا يتبين بالمسئلة الثانية فنقول الناس لهم فى
افعال الله باعتبار ما يصلح منه وما يجوز منه وما لا يجوز منه ثلاثة اقوال
طرفان ووسط فالطرف الواحد طرف القدرية وهم الذين حجروا عليه
ان يفعل الا ما ظنوه بعقلهم انه الجائز له حتى وضعوا له شريعة
التعديل والتجويز فاوجبوا عليه بعقلهم امورا كثيرة وحرموا عليه
بعقلهم امورا كثيرة لا بمعنى ان العقل آمر له وناه فان هذا لا يقوله عاقل
بل ان تلك الافعال مما علم بالعقل وجوبها وتحريمها ولكن ادخلوا
فى ذلك من المنكرات ما بنوه على بدعتهم فى التكذيب بالقدر وتوابع
ذلك والطرف الثانى طرف الغلاة فى الرد عليهم وهم الذين قالوا لا ينزه

Copyright © King Saud University